Issue 6082 Thursday 5/7/2018
الزمان – السنة الحادية والعشرون العدد 6082 الخميس 21 من شوال 1439 هـ 5 من تموز (يوليو) 2018 م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/21 . UK

سلمان الصفواني صحفي رائد ووزير سابق

تدوين اليوميات خلسة على أعقاب السجائر

علاء لازم العيسى
البصرة

كاتب صحفي رائد ، ومن دعاة الفكر القومي ، ومن المؤسسين لنقابة الصحفيين العراقيين ، ووزير سابق . ولد سلمان بن صالح بن أحمد آل إبراهيم الصفواني – والذي عرف أيضاً بسلمان القطيفي – سنة ، وقد اختلف الباحثون في مكان ولادته ، فبعضهم رأى أنه ولد في النجف الأشرف ، ويرى آخر أنه ولد في مدينة المشخاب بمحافظة القادسية، أما الثالث فيرى أنه ولد ونشأ نشأته الأولى في بلدة (صفوى) الواقعة على الساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية، وتعلم بها القراءة والكتابة وحفظ أجزاء من القرآن الكريم ، ثمّ خرج من صفوى إلى جزيرة البحرين فحصل على الشهادة الابتدائية من مدرسة الإصلاح في المنامة ، ثم التحق بالمدرسة الأمريكية هناك ، بعدها هاجر إلى العراق لتلقي المزيد من العلم فأقام في النجف الأشرف .

في معاهد النجف

درس في معاهد النجف الدينية ، وانتقل إلى بغداد والتحق بمدرسة آية الله الشيخ مهدي الخالصي لمواصلة دراساته العلمية ، وأصبح من أقرب تلاميذه منزلة لديه ، وبسبب موقفه المؤيد لسياسة الشيخ الخالصي المعارضة للانكليز وللملك فيصل الأول ، ولقانون انتخاب أعضاء المجلس التأسيسي في أول أيار(1922) ، وبسبب الكلمة الحماسية الجريئة والمؤثرة التي ألقاها في اجتماع الناس الكبير الذي حصل في الصحن الكاظمي بتاريخ (14 / 6 / 1923) لتوديع السيد محسن أبو طبيخ ، الذي طلب منه الملك فيصل مغادرة العراق ، وبسبب حماس الصفواني أخذ الحاضرون يهتفون بسقوط الحكومة وحياة المجاهدين ، فأخذت الشرطة تبحث عنه وبعد أيام ألقي القبض عليه ، وعلى ولدي الشيخ الخالصي حسن وعلي ، وشاب من آل الخالصي أيضاً اسمه علي نقي ، وأرسلتهم مخفورين إلى سراي بغداد ، فلما رأت الحكومة أن القبض على أولاد الشيخ الخالصي لم ينتج الاضطراب الذي كانت تخشاه قررت القبض على الشيخ بالذات ، وفي ساعة متأخرة من مساء يوم (26 / 6 / 1923) تم إلقاء القبض عليه ، ونقل بسرعة بسيارة إلى القطار ، وجيء بالأربعة من السراي فأركبوا بالعربة التي كان فيها الخالصي ، وتحرك القطار بهم متوجهاً نحو البصرة .

وصل القطار الذي يقلّ الشيخ الخالصي ورفاقه الأربعة إلى محطة قطار البصرة مساء يوم (27) حزيران ، وقد نقلوا من المحطة رأساً إلى قصر يقع في منطقة السراجي على ضفاف شط العرب يسمى (قصر أغا جعفر) ، وادعت الحكومة في حينه إنها إنما اسكنتهم في هذا القصر لكي توفر لهم أسباب الراحة والترف باعتبار أن ذلك القصر كان يعتبر من أفخم قصور البصرة في تلك الأيام ، ولكن سلمان الصفواني ينفي صحة ما ادعته الحكومة ، حيث قال : صحيح أنها أسكنتنا في ذلك القصر الفخم غير أنها وضعتنا في غرفة تحتانية منه ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب الأليم ، ويصف ما جرى عليهم في تلك الغرفة فيقول ما نصّه : ((لم يكن في هذه الغرفة حتى حصير نجلس عليه ، فنمنا جلوساً في تلك الليلة مستندين إلى نوافذ الغرفة ، وكان الحرّ شديداً ، وكان البعوض بأحجام كبيرة وأسراب كثيرة يهاجمنا بلا رحمة ، فلم تغمض لنا عين ، مضافاً إلى أننا لم نتناول طعاماً منذ الليلة التي قبض فيها على الإمام الخالصي ، والجائع لا ينام ، وكان الواحد منا إذا ذهب إلى المرافق الصحيّة رافقه جندي هندي مسلّح ، وكان هؤلاء الجنود شرسين جداً .

الإضراب عن الطعام

وفي الصباح جيء لنا ببضعة أرغفة من الخبز العادي وقطعة من الجبن الأبيض المتحجّر مع الخيار التعروزي ، فلم نستطع تناول شيء من هذا الطعام ، وجيء لنا ظهراً ومساءً بمثل ذلك فلم نتناول منه شيئاً ، وقررنا الإضراب عن الطعام ، ودام إضرابنا ثلاثة أيام ظهر علينا خلالها الإعياء التام ، وفي اليوم الثالث من إضرابنا جاءنا مفتش شرطة بريطاني وألقى نظرة على الغرفة التي نحن فيها فشمّ رائحة كريهة تنبعث من زاوية الغرفة ممّا يلي الباب ، فدنا منها حيث رأى كمية من الخبز والجبن والخيار قد وضع بعضه على بعض من دون أن تمسه يد حتى تعفّن ، ورأى أن الغرفة خالية حتى من الحصران وأن لا شيء ننام عليه ، فبدت عليه علائم الاستياء وخرج من الغرفة من دون أن ينبس ببنت شفة ، وبعد بضع ساعات عاد المفتش إلينا ، وكان قد ذهب إلى البصرة بزورق بخاري ، فإذا بالجنود ينقلون إلينا أثاث بيت كامل من سجّاد وفرش وقنبات وكراسي ومناضد وأواني ومواد التموين والطعام على اختلافها ، بسخاء عجيب ، وقيل لنا أن الحكومة قد عيّنت لنا طبّاخاً ليطهو الطعام لنا حسب ذوقنا ، ولمّا كنت المدخن الوحيد بين رفاقي فقد تقرّر تزويدي بـ (4000) سيكارة في الشهر من السيكاير العراقية ذات العقب ، وقد أفادتنا هذه السيكاير إذ لم يكن لدينا ورق نكتب عليه ، فكنت أحتفظ بعقب كلّ سيكارة لتدوين يومياتي الموجزة عليها في غفلة عن أعين الرقباء)).

مكث الصفواني ورفاقه في ذلك القصر حتى يوم (30) حزيران ، وفي مساء ذلك اليوم نقلوا إلى باخرة اسمها (قاسنا) كانت راسية في شط العرب ، فصعدوا إلى الباخرة حيث خُصّص لهم فيها جناح من الدرجة الأولى ، كما دفعت لكلّ واحد منهم نفقات جيب مقدارها 500 روبية ، وتوجهت الباخرة إلى جدة ، ومنها إلى مكة الكرمة ، وبعد إتمام فريضة الحج قرّر الشيخ الخالصي تلبية دعوة الحكومة الإيرانية ، فركب باخرة أقلته مع رفاقه إلى بوشهر ، وقد افترق عنهم سلمان الصفواني حيث ذهب إلى البصرة ، ومنها إلى بغداد . بعد عودته إلى بغداد أصدر جريدة (اليقظة) لسان حال التيار القومي ، جاء في ترويستها : ((جريدة دينية علمية أدبية انتقاديه تصدر في الأسبوع مرة واحدة مؤقتاً)) ، ظهر عددها الأول في الكاظمية في يوم الجمعة الموافق (5 صفر 1343هـ / 1924) مطبوعاً في مطبعة الفلاح في بغداد لعدم وجود مطبعة في الكاظمية ، وبعد (13) عدد عطلتها الحكومة ، ثمّ استأنفت الصدور في سنة 1929 وصدر منها عدد واحد واحتجبت ، ثمّ ظهرت سنة 1945 واستمرت حتى سنة 1959 . أصدر جريدة (المنبر العام) وهي أسبوعية ، برز عددها الأول في الكاظمية في يوم الأحد الموافق (4 جمادى الثاني 1344هـ / 1925م) مطبوعاً في المطبعة العصرية في بغداد لتحل محل جريدة اليقظة ، وعطلتها الحكومة بعد صدور عددها الثالث عشر .

رأس تحرير جريدة (المعارف) لصاحبها عبدالملك حافظ، وهي اسبوعية جامعة ، برز عددها الأول في الكاظمية في يوم الجمعة (24 صفر 1345هـ / أيلول 1926م)، فاستمرت في نقد الأوضاع الحكومية ، فعطلتها الحكومة بعد ظهور عددها الثالث عشر . زار عدة دول عربية وأجنبية ، منها : مصر، وتونس ، ولبنان ، وسوريا ، وفلسطين ، وانجلترا، وفرنسا ، وسويسرا ، والصين ، وقابل في تلك الأقطار التي زارها العديد من الملوك والرؤساء والزعماء . عمل في العراق في عدة أعمال وشغل عدة مناصب ، فقد مارس التعليم في مدرسة المفيد الأهلية في الكاظمية ، وفي دار المعلمين في الأعظمية، وشغل منصب مدير دائرة النفوس في لواء الحلة ثمّ مديراً للإذاعة سنة 1938 . انتخب عضواً في الهيأة العليا لحزب الاستقلال لأربع دورات للسنوات (1947 ، 1948 ، 1950 ، 1952) ، وأسهم مع الأستاذ كامل الجادرجي سنة 1948 في تأسيس أول تنظيم نقابي للصحفيين أسموه (جمعية الصحافة العراقية) .

كما شغل منصب وزير للدولة في ثلاث وزارات في العهد الجمهوري . غادر العراق هو وعائلته بعد ثورة تموز 1958 هارباً إلى مصر ، ومكث بها حتى سنة 1965عاد بعدها إلى العراق وشغل منصب وزير للدولة في ثلاث وزارات ، له من مؤلفاته المطبوعة : ذيول صفّين (رواية) ، وكفاحنا القومي ، وأذن وعين ، في السياسة والأدب ، وهذه الشعوبية . توفي سنة (1988) .

سلمان الصفواني

السلاح العشائري .. إرهاب من نوع آخر

بات الجميع اليوم يلمسون ويشعرون أن الشعب العراقي لا يعاني فقط من ارهاب داعش بل من ارهاب جديد يتهدد امنه واستقراره هو (الارهاب العشائري) ، الذي اخذ ابعاد خطيرة لم تقف عند تهديد الحرية الشخصية للمواطن العادي ولا لأمن وحرية الطبيب والموظف الحكومي والعسكري أو منسب الاجهزة الامنية في اداء واجبه بل وصل الى تهديده لهيبة الدولة ومؤسساتها الامنية من خلال حروب وصراعات مسلحة تعكس سطوة وقدرات تسليحية بيد ثلة ممن يدعون انتماءهم لهذه العشيرة او تلك ، يعيثون في الارض فسادا" تحت غطاء أعراف وتقاليد اخترعوها او ابتكروها وألصقوها بالتقاليد والاعراف العشائرية ، والتي استثمروها واستغلوها لجني الاموال والتجاوز على الحقوق وكرامة الاخرين بالابتزاز والتهديد والوعيد !

فتحولت العشائرية من مجرد قوانين عرفية تنظم حياة مجاميع من الافراد الى وسيلة للابتزاز واستغلال للنفوذ بغير موقعه واستنكرها الكثير من شيوخ العشائر واعتبروها هي اقرب للتجارة نتيجة تدخل وظهور شيوخ مندسين واغلبهم مؤجرين ، شجعهم ضعف وتهاون الاجهزة الامنية على الايغال والتوسع في غيهم بممارسات ما انزل بها من سلطان ولا تخطر على بال أحد ، بل هي اغرب من الخيال ،حتى صار مجتمعنا اضحوكة وموضوع تندر واستهزاء لكل من يسمع بهذه الممارسات التي لم تحصل حتى في أكثر العصور ظلاما" وجهلا" مرت بها أمة من الامم أو شعبا" من الشعوب !

اليوم تسفك دماء وتزهق ارواح في صراعات عشائرية تستخدم بها اسلحة ثقيلة ومتوسطة وخفيفة !؟

كما يسيطر الرعب على الاطباء من تقديم العلاج او اجراء عملية جراحية لمريض في امس الحاجة لها خوفا" من الفصول العشائرية وما ستؤول اليه الحالة فيما لو توفي المريض او لم يستجيب بشكل ما للعلاج ؟

كما يتردد منتسب جهاز الامن او المسؤول عن تنفيذ وتطبيق القانون بسبب التبعات السلبية التي قد تلحق به في حالة لم يعجب هذا التطبيق احد من الشيوخ او عشيرة من العشائر ؟!

وبات من السهولة ان يقع اي مواطن ضحية لعصابات تستغل ظاهرة التقاليد والفصول والقوامة ...العشائرية لابتزازه واستحصال ما يستطيعون من اموال او فدية او فصل من هذا المواطن الذي قد لا يكون له (ظهر) عشائري يستند اليه خصوصا" ان كان كبير السن او امرأة أو طالب جامعي ، أو اي مواطن بعيد عن هذه البيئة العشائرية الريفية التي شاعت في المدن والحواضر العراقية ما شكل ازمة كبرى في المجتمع العراقي الحضري الغير متعود او غير عارف بأصولها و اعرافها وتقاليدها ...

ان تكالب الارهاب الداعشي على أمن واستقرار المجتمع العراقي مستهدفا" تمزيق النسيج الاجتماعي والتعايش السلمي والسلم الاهلي يجد صداه في ارهاب من نوع آخر لا يقل خطورة على امن واستقرار المجتمع وهو اساءة استخدام الاعراف والتقاليد العشائرية حتى تحولت الى اسلوب من اساليب الاكراه والابتزاز والترهيب والقتل وتهديد الآخرين ..لذلك لابد على الجهات الحكومية والدينية والقانونية اتخاذ ما يلزم للحد من هذه الظاهرة السلبية . ..

عماد علو
بغداد

إلى كل من له نية لمراجعة دائرة التقاعد..ان يعرف من هو ؟

كيف لهذه الجموع الغفيرة التي اغلبها تعاني التعب من الوقوف لساعات وانا واحدا منهم من الذي مضى على وقوفه على قدميه منذ الساعة الاولى للدوام فقد كنت احد المتدافعين الذين يرومون الدخول الى داخل الدائرة التي امتنعت عن زيارتها بعد تمشية المعاملة التقاعدية الخاصة بي قبل عشرة سنوات واليوم احكم القدر ان اتواجد المجيء لاستبدال سعادة المعالي كي كارد الباشا قبل ان اعطيه للموظفة لاستبداله قبلته من كل جوانبه وتليت عليه ايات من القران العظيم كانت هذه وصية جدتي التي قالت لي

– ان ضاق بك الامر اقرا هذه الايات حتى اجبرتني على حفظها بين لحظة واخرى ارتجف جسدي باكمله والتعب انهك قواي نظرت لوجهها الطفولي وسالتها

– لقد اشتقت لحضرة صاحب المعالي كي كاردي الجميل ..

حدقت في وجهي وقالت

– امستهزءا..ام ماذا..

ضحكت بصوت سمعته لتطيل النظر لي قائلة

– والله انت مرتاح وقلبك وفكرك فارغ..

تابعت بالكلام

– وكذلك جيبي فارغ..

عادت مرة اخرى لتدقق معاملة كررتها لمرات لتجعلني اتذكر قول جدتي تارة اخرى

– انها ايات مباركات..

همست مع نفسي ببرود

– ان هذه المعاملة لا نخصني..

اغتاظت مني وصاحت بصوت عالي

– زهرة مرجان ...

لا زهرة ولا تظهر ابنة مرجان انتقلت صيحاتها للواقفين لتحدث ضجة عالية حتى اقتربت امراة قصيرة وبخطاها شرخت المجاميع الواقفة لتقل

– نعم ..ابنتي ..انا زهرة بنت مرجان..

مسكت يدها بقوة ومن يدها لتثبت ابهامها الايسر على الجهاز مؤنبة لها

– الم تتعلمي ابهامك الايسر.. الا تتعلمي ..

ظلت مشدودة لها وقد ضيعت كل شيء متعثرة بخطواتها وهي تردد

– لم اتعلم..

دفعتها بقوة وكادت تسقط لكنها لم تكترث لها لان بين اصابعها صار حضرة المعالي الكي كارد نظرت له بشوق وتامل لتترك دعائها قائلة

– اللهم يحفظك ويبعثلك ابن الحلال...

اين هو ابن الحلال الذي ان جاء لها فهو طامعا بها فهذا الذهب التي تملكه وترتديه يصلح لشراء بيت بسيط وسيارة ذات المنظر المنفوخ رمقتها بنظرة عجولة وجدت نفسها متلهفة لتردد

– اين هو ابن تلحلال..

بالفعل ابن الحلال رحل ولم يعد ثانية وقد اخذ معه الاحلام الوردية اختطت عند الذاكرة الخوف سيطر على نفسي وشعرت بانني اكاد اسقط لولا هذا الجدار عند الزاوية البعيدة واعتبرته مسندا لجسدي الثقيل وكل لحظة اندب حظي

– لعنة الله عليك يا صاحب المعالي ..

واعود لاكرر كلامي هذه المرة لحظي العاثر ولائما لجدتي التي تاكدت لكذبتها بان من اعاد قراءة الايات تتسهل اموره ولم تعد تنظر لي هذه الموظفة التي خشيت النظر لها فانا اعتبرتها اصبحت قنبلة موقوتة جاهزة الانفجار قفزت على صرختها من مكاني واتجهت نحو شباك رقم (7) من شدة عدم مبالاتي وكانني فزت بالجائزة الكبرى ضيعت سبيلي اقحمت بنفسي الى شبالك رقم (8) لاني قرات (7) بالمقلوب لاجد احد الواقفين يدفعني متذمرا مني قائلا

– من هناك رقم (7).. من هنا (8). ماذا جرى لك..

صححت مساري وبيدي المرتجفة وباصابعي امسكت بصاحب السعادة والمعالي كي كاردي الحبيب لكن ما الفائدة اثناء خروجي تحطمت نظارتي الطبية من شدة الزحام...

هادي عباس حسين
بغداد

إستطلاعات

أسعار خيالية تشجع اللصوص على إحتراف التهريب

أثرياء العرب أحد أسباب زيادة سرقة الطيور الجارحة في الغرب

لندن - ريتشارد غراي

بعد ليلة عاصفة كتلك التي اعتادها سكان جزيرة "لويس" الاسكتلندية، توجه "دونالد ماكلويد" بحذر لتفقد طيوره كما يفعل في كل صباح. لكن مع اقترابه من قفص الطيور في نهاية حديقته، كان من الواضح أن شيئاً ما لم يكن على ما يرام.

ويروي ماكلويد ما رآه في هذه اللحظات بالقول: "كان سقف القفص منزوعاً من مكانه، ويرفرف مع الريح.. وكان ذكر طائر البوم الصغير الخاص بي، والذي يحمل اسم 'سكامب' وينتمي لنوع البوم الأبيض، مفقوداً. شخصٌ ما اقتحم المكان، وسرقه أو فر الطائر منه وهو يحاول سرقته".

كان هذا الرجل، وهو صيادٌ مدربٌ يستخدم الصقور في عمليات الصيد، يستعين بهذا الطائر الذي كان يبلغ من العمر خمس سنوات، لتسلية الأطفال الذين يأتون للإقامة في نُزُل يديره وزوجته في الجزيرة الاسكتلندية، ويقدم خدمة البيات والإفطار لقاطنيه.

اللافت أن الحادث الذي وقع لهذا الرجل ليس بالأمر المعتاد للعديد من الأسباب.

فرغم أن النُزُل الذي يديره يقع في منطقة خلابة، فإنها نائيةٌ بشدة وتقبع على السواحل التي تعصف بها الرياح للجزيرة. كما أن هذا المكان لا يمثل بقعة تستشري فيها الجرائم. فضلاً عن ذلك، فمن غير الشائع وجود لصوص متخصصين في سرقة طيور جارحة، والبوم منها تحديداً.

رغم ذلك يقول العاملون في مجال الصيد باستخدام الصقور إن هذا النوع من الجرائم صار يحدث بشكل متكرر وعلى فترات قصيرة. وتتصاعد الشكوك في أن ذلك يُحدث لسبب واحد، ألا وهو الانتفاع بطيور البوم وبيعها في ظل تراجع فرص سرقة المبالغ النقدية.

فالأرقام تفيد بأنه من المتوقع أن يصل عدد المعاملات، التي لا تُستخدم فيها الأموال السائلة على مستوى العالم بحلول نهاية العقد الحالي، إلى نحو 726 مليون معاملة، بزيادة نسبتها 9.10 في المئة عما كان الحال عليه عام 2015. رغم ذلك، هناك دولٌ تُسَرِّع من وتيرة الانتقال إلى عمليات الدفع الإلكتروني أكثر من غيرها.

تراجع معاملات

ففي المملكة المتحدة، تراجعت المعاملات التي تجري باستخدام المبالغ النقدية بنسبة 15 في المئة خلال عام 2017 مُقارنةً بالعام السابق لذلك مباشرةً، ليصل عددها إلى 1.13 معاملة، بينما زادت عمليات الدفع باستخدام بطاقات الائتمان. وفي اليابان، بلغت نسبة تراجع المدفوعات باستخدام المال السائل 5.8 في المئة في 2017، وزادت عمليات الدفع باستخدام الهواتف النقالة بنسبة الخُمس تقريباً في الصين خلال ربع واحد من عام 2016.

وتزامن تزايد الإقبال على سداد الأموال باستخدام بطاقات الائتمان الذكية التي تعمل عن بعد، ومن خلال الهواتف المحمولة وكذلك عبر شبكة الإنترنت، مع تقلص المبالغ النقدية التي يحملها الناس في جيوبهم ويُبقيها تجار التجزئة في متاجرهم، وهو ما يمثل مشكلةً بالنسبة للمجرمين واللصوص، إذ يعد المال السائل الخيار الأفضل لهم، فمن اليسير حمله ومن العسير اقتفاء أثره، فضلاً عن إمكانية التخلص منه بسرعة.

وفي ضوء العزوف المتزايد من جانب البشر في مختلف أنحاء العالم عن استخدام المال السائل، بات يتعين على اللصوص العثور على بدائل تساعدهم على تحقيق أرباح سريعة وغير مشروعة أيضاً. وفي السطور المقبلة، سنلقي نظرةً على بعضٍ من الأشياء، التي يضعها المجرمون نصب أعينهم في هذا الصدد، رغم أن ذلك يبدو من غير المعتاد والغريب إلى حد بعيد.

لنبدأ بالسويد التي لم تُستَخدم فيها المبالغ النقدية سوى في اثنين في المئة من إجمالي المعاملات والمدفوعات التي شهدتها العام الماضي، ويقول 20 في المئة من مواطنيها إنهم لم يسحبوا أموالاً قط من آلة صرف آلي، ففي هذا البلد يمكن أن يجد المرء المُؤشرات الأقوى من نوعها، على أن شيئاً ما في طور التغير على صعيد طباع المجرمين واللصوص.

فبينما كان عدد جرائم السطو على المصارف، يصل إلى نحو مئة جريمة سنوياً خلال عقد التسعينيات، تراجع هذا العدد قبل أربع سنوات ليصبح 30 فحسب، قبل أن يهوي مرة أخرى العام الماضي إلى 11 جريمة فحسب. كما أن هناك تراجعاً مماثلاً في عدد عمليات السطو على السيارات المصفحة التي تُنقل فيها الأموال والمقتنيات الثمينة.

بالتوازي مع ذلك، تشهد السويد زيادةً مطردةً في عدد الجرائم التي تستهدف الكائنات الحية التي تحظى بالحماية من الانقراض، إذ وصل هذا العدد إلى 156 جريمة في 2016، وهو المستوى الأعلى له على الإطلاق خلال نحو عقد من الزمان، قبل أن ينخفض من جديد بشكل طفيف العام الماضي. ويقول مسؤولو أجهزة إنفاذ القانون في هذا البلد إن من بين أكثر الجرائم شيوعاً في هذا الصدد، تلك التي تستهدف سرقة بيض الأنواع النادرة من طيور البوم، وكذلك السطو على زهور الأوركيد النادرة.

وتُباع المسروقات من هذا النوع بعد ذلك في السوق السوداء، وتُهرَّب إلى بقاع أخرى في أنحاء مختلفة من العالم، لتصل إلى دول مثل السعودية والإمارات العربية المتحدة وقطر، إذ يشكل اقتناء طائر جارح فيها رمزاً للتمتع بمكانة راقية سواءٌ من حيث الثروة أو الوضع الاجتماعي.

ويقول فيليبو باسيني رئيس الوحدة المكلفة بالتعامل مع وقائع التعدي على الكائنات الحية الخاضعة للحماية في الشرطة السويدية، إن سعر الطائر الواحد من نوع "البومة الرمادية العظمى" يمكن أن يصل – وهو في طور البلوغ – إلى ما يفوق 112 ألف دولار، مُشيراً إلى أن تلك الطيور غالباً ما تُباع عبر ما يُعرف بـ"الشبكة المظلمة"، وهي شبكةٌ خاصةٌ يتواصل من خلالها أشخاصٌ يثقون في بعضهم البعض. ويتم هذا التواصل عبر ميثاق اتصالات ومنافذ غير قياسية، ولا يتم في إطاره الكشف عن عنوان بروتوكول الإنترنت "آي بي".

وتشهد دولٌ أخرى غير السويد، تزايداً بدورها في عدد الجرائم التي تستهدف الكائنات الحية المُهددة أو تلك الخاضعة للحماية. ففي المملكة المتحدة، التي لا يُستخدم النقد السائل سوى في 40 في المئة من إجمالي عمليات الدفع التي تجري فيها، ثمة تصاعدٌ في عمليات سرقة الطيور الجارحة.

وبينما قد يبلغ سعر طائر بوم من نوع شائع نسبياً مثل "سكامب" مئة جنيه إسترليني ليس أكثر (ما يزيد قليلاً عن 131 دولاراً أمريكياً) في ما يُعرف بـ"السوق المفتوحة"، فإن قيمة طيور نادرة مثل إناث صقور الشاهين قد لا تقل عن 4000 جنيه إسترليني (نحو 5260 دولارا) للطائر الواحد منها. أما الصقور المنتمية لنوع "صقر الغزال" – أو "الصقر الشروقي" – والتي توجد عادةً في سيبيريا، فقد يصل سعر الواحد منها في السوق السوداء إلى 75 ألف دولار.

وقد أدى الطلب على الطيور الجارحة من جانب الزبائن في منطقة الشرق الأوسط، إلى رفع أسعارها خلال السنوات القليلة الماضية، ما جعل الإتجار فيها مربحاً للغاية. ومن المسموح تصدير الطيور التي تخرج إلى الوجود في الأسْر وتُربى هناك (وغالباً ما تتم عملية التصدير هذه على متن رحلات طيران خاصة) لكن شريطة أن يكون بوسع مُربيها إثبات أنه لم يأخذها من البرّية بشكل غير مشروع. رغم ذلك، يبدو أن رقعة التجارة غير المشروعة في تلك الطيور آخذةٌ في الاتساع.

ثعبان السمك

ولا يقتصر الأمر على الطيور الجارحة وحدها، فـ"ثعابين السمك الزجاجية"، وهي النوع الصغير من ثعابين السمك الأوروبية المُهددة بشدة بالانقراض، تُباع في السوق السوداء مقابل ما يقارب مليوناً ومئة ألف دولار تقريباً للطن الواحد. وتُعتبر هذه الأسماك صغيرة الحجم من الأطعمة الشهية، وتُؤكل مشوية في الصين.

وتفيد التقديرات بأن قرابة مئة طن من هذا النوع من الأسماك هُرِّبت خلال هذا العام وحده، من دول الاتحاد الأوروبي إلى الصين. وفي الوقت الراهن، يُعتبر الإتجار في ذلك النوع مربحاً بقدر لا يختلف كثيراً ما يدره تهريب الكوكايين من أموال، إلى حد أن عصابةً واحدةً خضعت لتحقيقات من جانب الشرطة مؤخراً، جنت قرابةً 330 مليون دولار من نشاطها في هذا المجال، خلال خمس سنوات فحسب.

ويقول "آلان روبرتس" الضابط في شعبة التحقيقات في الوحدة المختصة بالتعامل مع الجرائم التي تستهدف الحياة البرية في الشرطة البريطانية، إن طبيعة عمليات الإتجار في الكائنات التي تعيش في البرّية "تغير تماماً خلال السنوات العشر الماضية. اللصوص الذين يشكلون جزءاً من عصابات الجريمة المنظمة يبحثون عن المجالات التي تُدر ربحاً".

ورغم أن من العسير الربط بشكلٍ مباشر بين الزيادة التي تُرصد في عدد هذا النوع من الجرائم وقلة السيولة النقدية في المعاملات والمدفوعات، فإن هذه العلاقة مؤكدةٌ في نظر أُناس مثل بيورن إيريكسون، وهو رئيسٌ سابقٌ لمنظمة الشرطة الجنائية الدولية "الإنتربول"، وأصبح الآن من النشطاء في مجال الدعوة للعودة إلى استخدام المبالغ النقدية وليس طرق الدفع الإلكترونية.

ويقول إيريكسون: "إذا لم يكن لديك أموالٌ سائلةٌ، فسيسرق المجرمون شيئاً آخر. هناك الكثيرون ممن يدعون أن الجريمة ستتلاشى في الواقع، لأنه سيكون هناك عددٌ أقل من عمليات السطو. ربما يَصْدُقُ ذلك إذا ما كنا نتحدث عن المصارف".

ويرى إيريكسون أن المجرمين في هذه الحالة سينتقلون إلى مجالات أخرى، قائلاً إنه "من الواضح أن تزييف الهوية سيصبح مشكلةً كبيرةً.. وبوسعنا أن نتوقع رؤية أنواع مُنظمة أخرى من السرقة للاستعاضة عن قلة النقود".

لكن الإتجار في كائنات مثل الطيور والأسماك النادرة أو المُحمية ليس بالأمر الهين، فهي تحتاج إلى أن يتم تغذيتها والاحتفاظ بها في ظروف مُهيأة لذلك ومُتحكم فيها بحرصٍ وعناية. كما أن نقلها يحتاج إلى الاستعانة بخبراء ومتخصصين.

ولذا فاللصوص يولون اهتمامهم بدلاً من ذلك إلى مجموعة من السلع مرتفعة القيمة التي نستخدمها يومياً، والتي ربما يمثل سعيهم لسرقتها أمراً مفاجئاً بالنسبة لنا. وفي هذا السياق، يمكننا الاستشهاد بنتائج تقرير أعده مؤخراً "الاتحاد الوطني للبيع بالتجزئة" – وهو كيانٌ يجمع أصحاب متاجر التجزئة في الولايات المتحدة – حول الجريمة المنظمة.فقد كشف التقرير عن أن أكثر السلع التي تُسرق خلال عمليات السطو على المتاجر، هي مزيجٌ ما بين السلع الكمالية والمنتجات التي نستخدمها بشكلٍ يومي. ومن بين ما تتضمنه قائمة السِلَع العشرة الأكثر تعرضاً لهذا الخطر؛ سراويل الجينز من قماش الدنيم الأزرق، وحقائب اليد غالية الثمن التي تُصنَعها علاماتٌ تجاريةٌ شهيرةٌ، وكذلك شفرات الحلاقة والحليب الصناعي المخصص للرضع، والمنظفات التي تستخدم في غسيل الملابس، ولصقات تبييض الأسنان.

ويقول بوب موراكا، نائب رئيس القسم المكلف بالوقاية من الخسائر في "الاتحاد الوطني للبيع بالتجزئة": "نشهد بالقطع انخفاضاً في كمية السيولة النقدية المُستخدمة في المتاجر". ويشير في هذا الشأن إلى بيانات تفيد بأن 40 في المئة من عمليات الدفع التي جرت في عام 2015، تمت باستخدام أموال سائلة، بينما تمت 42 في المئة منها عبر بطاقات الائتمان. أما في 2016، فقد أصبح نصيب المبالغ النقدية – بحسب البيانات ذاتها – 23 في المئة فقط من هذه العمليات، وارتفعت حصة بطاقات الائتمان لتبلغ 48 في المئة.

عصابات منظمة

ويضيف موراكا: "بجانب ذلك، نرى نزعةً لدى المجرمين، الذين يعملون في إطار عصابات منظمة – باتجاه سرقة منتجات ذاتَ قيمة أعلى، ومن ثم يحولونها إلى سيولة نقدية" بعد بيعها.

وهكذا فبدلاً من التوجه مباشرةً إلى مكان درج النقود في المتجر والذي يحتوي على حصيلة عمليات البيع الجارية في المكان، يقصد اللصوص المنتجات المعروضة نفسها. وتكتسي أجهزة الهاتف المحمول غالية الثمن، مثل الطراز الجديد من هاتف "آي فون" – والمعروف باسم "آي فون إكس" – بجاذبية خاصة، إذ يمكن تصديرها بسرعةٍ إلى الخارج، لتصل إلى دول مثل المكسيك، حيث يوجد طلبٌ عليها من جانب المنتمين لعصابات المخدرات.

لكن منتجات أخرى أقل شأناً، مثل شفرات الحلاقة ولصقات تبييض الأسنان، يمكن أن تشكل مطمعاً للصوص، في ضوء أن سعر العلبة من تلك المنتجات سالفة الذكر قد يصل إلى 40 دولاراً. وبطبيعة الحال، يمكن الوصول إلى مثل هذه السلع وسرقتها بشكلٍ أيسر كثيراً من الأموال المُقفل عليها في درج الخزينة الخاصة بالمتجر، ما يقلل الوقت الذي يحتاجه اللصوص لإتمام جريمتهم.

ويعود موراكا للقول: "هذه الأشياء خفيفة الوزن للغاية ومن اليسير حملها. إفراغ أحد الرفوف في صيدليةٍ ما مما عليه من منتجات، يمكن أن يمنح اللص بضع مئات من الدولارات. ما يفعلونه هو سرقة هذه الأشياء بالجملة ومرةٍ واحدة، ثم إدخالها في عملية معقدة تتضمن البيع لأشخاص يعرفون أنها مسروقة ويقومون ببيعها بدورهم، وذلك لتحويلها إلى أموال سائلة".

وعلى الجانب الآخر من الصورة، نجد سلعاً مثل حقائب اليد غالية الثمن والأدوات الكهربائية. ونظراً لأن ثمن الواحدة منها يتراوح في أغلب الأحيان بين مئات وآلاف الدولارات، فإن سلب أحدها فحسب، يمكن أن يكون مُربحاً لسارقه.وبصرف النظر عن الاختلاف في طبيعة ما سيسعى اللصوص إلى السطو عليه، سواء كان أموالاً سائلةً أو شفرات حلاقة أو حيوانات أليفةً، فإن أمراً واحداً لن يختلف – مهما غير المجرمون من طباعهم في هذا الشأن – ألا وهو ما يجتاح الضحايا من مشاعر عند تعرضهم للسرقة.من بين هؤلاء الضحايا دونالد ماكلويد، الذي تحدثنا عنه في البداية، والذي لا تزال الشرطة تحقق في ملابسات اختفاء ذكر طائر البوم المملوك له، ويقول الرجل: "لا أعلم لماذا أُخذَ، ولكن بالنسبة لنا، لم يكن "سكامب" يُقدر بثمن".

أصبحت الطيور الجارحة مصدرا لتحقيق الثروة